فحص الحِجاج منهجا لتحليل خطاب القرآن الكريم

" قراءة تحليلة في أدوات الحجاج وسمات المحاجة"

(د.محمد عديل عبد العزيز، أستاذ اللسانيات المشارك، وعميد الكلية الجامعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة)

الملخص

إنَّ النص القرآني خطاب ربنا المتعالِ، أحسن الحديث وأجود الكلام، وهو نسيج وحده، يسبق مقاله مقامه، ذو نظم بديع وأسلوب فريد. ولأنه متجدد في تجلياته وفتوحاته، فهو يحتاج منا مواصلة تدبره، وتحرِي إعجازه، ومن ذلك فحص الخطاب الحجاجي فيه. فقد التمس الذكر الحكيم خطابا حجاجيا مميزا، من خلال الممارسة المنتظمة لأفعال تفكيرية ومنهجية، تهدف إلى ملاحقة الآراء المخالفة بهدف نقضها، وإثبات تهافتها. وهو أمر يمكن فحصه في غالب نصوص الذكر الحكيم، مما أتاح تحصيل نتائج منظمة، وتسوية واضحة.

كما التزم الخطاب القرآني الكريم عددا من المبادئ والاستراتيجيات التي كفلت له الحجة البالغة على الدوام، بوصفه خطابا ذا رؤية مميزة، موجهة بمبادئ ثابتة، وأدوات عقلية مناسبة للدفاع عنها، مما يسعف غايته، ويزكي إمكاناته الإقناعية. وإن مقصد الدراسة هو تحري الأنشطة الاتصالية الحجاجية الناصعة في خطاب القرآن، ومقاربتها بالأدوات اللازمة، مما سيكشف لا محالة قيمة النموذج الفكري الاستدلالي ودوره البالغ في تحصيل تلك النتائج.

وتمتح الدراسة مفاهيمها وأدواتها وإجراءاتها من اللسانيات التداولية، كما تتحرى اختبار كفايتها في مقاربة حجاجية النص القرآني، واستحضار العوامل الفاعلة في سبيل ذلك. لذا انصرفت همة الباحث إلى تحري مكونات الحجاج في الخطاب القرآني، ملتزما في ذلك إجراءات المنهج الوصفي وضوابطه، ومراعيا ألا تكون الدراسة إسقاطية لمناهج غربية على كتاب ربنا الباري، وإنما انتقاء الأدوات الملائمة، والإجراءات

الواعية التي تناسبه، ثم الاستفادة من مخرجات النظرية البلاغية العربية. ولم يلجأ الباحث إلى حصر دراسته في أجزاء بعينها أو سور محددة، على أن تكون الخطوة القادمة تحليلية لأجزاء بعينها من الذكر الحكيم.

الكلمات المفتاحية: الحِجاج- المحاجة- السلم الحجاجي – الفعل اللغوي الحجاجي- الربط الحجاجي- الاستعارة الحجاجية.

Examination of the Argumentation as a Method for Analysing Holy Quran's Discourse "Analysis Reading of the Argumentation's Tools and Features"

Dr. Mohamed Adeel Abdel Aziz, Associate Professor of Linguistics, and Dean of the University College -United Arab Emirates University

Abstract

The Quran's text is our God's speech, the best discourse, and the finest speech. It is a wonderful system and a unique style. Because it is renewed in its manifestations and conquests, it needs us to continue its contemplation and explore its miracles, including examining then argumentation discourse in it. The Holy Quran sought a distinctive argumentative discourse through the regular practice of thoughtful and systematic actions aimed at pursuing dissenting opinions to deny them and prove their frivolity. This can be examined in most of the Holy Quran.

The Quran's discourse has also adhered to several principles and strategies that have always guaranteed it the extreme argument, as a discourse with a distinct vision, guided by fixed principles and appropriate mental tools to defend it, thus serving its purpose and enhancing its persuasive potential. The purpose of the study is to investigate the bright and vocal communication activities in the Quran's discourse and approach them with the necessary

tools, which will inevitably reveal the value of the inferential intellectual model and its influential role in collecting these results.

The research derives its concepts, tools, and procedures through Pragmatics linguistics. It also examines its sufficiency in approaching the Quran's text's argumentativeness and evokes the influential factors. Therefore, the researcher focused on investigating the components of the argumentation in the Quran's discourse, committed to the procedures and controls of the descriptive approach, considering that the study is not projective of Western approaches to the Outran, but rather the selection of appropriate tools and conscious procedures that suit him, and then benefit from the outputs of the Arab rhetorical theory. The researcher did not resort to restricting his study to specific parts or specific surahs, provided that the next step is an analysis of specific parts of the Holy Quran.

- **Keywords**: The Argumentation Ladder- The Argumentative Speech Act - The Argumentative Connecting- The Argumentative Metaphor.

فحص الحِجاج منهجا لتحليل خطاب القرآن الكريم
" قراءة تحليلة في أدوات الحجاج وسمات المحاجة"

(د.محمد عديل عبد العزيز، أستاذ اللسانيات المشارك، وعميد الكلية الجامعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة)

عُنيت علوم التفسير والبلاغة والفقه وأصوله والنحو بمقاربة النص القرآني وتناولته بالبحث والتفسير والتأويل، موظِفة العديد من الأدوات والإجراءات التي سعت إلى الإحاطة بجوانبه الدلالية واستكشاف جماليته واستنطاق جوانب إعجازه. وقد سطرت تلك المصنفات والكتب على يد جلة من السلف الصالح والعلماء المتقدمين، الذين علموا كونية الخطاب الإلهي وسرمديته، فصرفوا جهودهم لفحص بنائه، واستنهضوا ملكاتهم لاستجلاء وجوه إعجازه. فبدؤوا من افتتاحيات السور ووجدوها ليست منبتة الصلة عن موضوعاتها، وأفاضوا الحديث في الأسرار الصوتية الكامنة في الحروف المقطَّعة، كما تناولوا أنواع المناسبة وأحكامها، واستقرار اللفظ القرآني في موضعه من النظم الشريف، موصول بما قبله وما بعده برابط المناسبة والملاءمة.

ولأن الكتاب العزيز متجدد في تجلياته وفتوحاته، فهو يحتاج منا مواصلة تدبره، وتحري إعجازه، ومن ذلك فحص الخطاب الحجاجي فيه. فقد التمس الذكر الحكيم خطابا حجاجيا مميزا، من خلال الممارسة المنتظمة لأفعال تفكيرية ومنهجية، تهدف إلى ملاحقة الآراء المخالفة بهدف نقضها، وإثبات تهافتها. وهو أمر يمكن فحصه واختباره في غالب نصوص الذكر الحكيم، مما أتاح تحصيل نتائج منظمة، وتسوية واضحة مستقرة. فهو خطاب ذو رؤية مميزة، موجهة بمبادئ وأفكار ثابتة، وأدوات عقلية مناسبة للدفاع عنها وتغليبها على غيرها، مما يسعف غايته، ويزكي إمكاناته الإقناعية.

وسوف نقدم على هذ التجربة آخذين بأسباب المعرفة المستجَدة في زماننا، واضعين في اعتبارنا الاسترفاد من المناهج الجديدة النافعة، والاستفادة من وسائلها وإجراءاتها، بما

يتلاءم مع مقتضيات التدبر والأخذ الأسبابه، في إطار دعوة الخالق عز جاهه: "أفلا يتدبرون القرآن" النساء/٨٢.

أسباب الدراسة

١. إنَّ النص القرآني خطاب ربنا المتعالِ، أحسن الحديث وأجود الكلام وأرفعه؛ وهو نسيج وحده، وخطاب غير قابل للمحاكاة، يسبق مقاله مقامه، ذو نظم بديع وأسلوب فريد، محكم البناء متلاحمه، وحري بكل باحث أن يبادر إلى استجلاء بعض أسرار التنزيل الحكيم التي تمنحه أسباب البقاء وعوامل الازدهار. فالدراسة بمنزلة الدعوة لاستئناف النظر والبحث في النص القرآني الشريف واستجلاء معالم الكمال والإعجاز فيه.

٢. إن النص القرآني وحدة كبرى مكتملة، تتسق فيها السور والآيات والمفردات، كما تنتظم المفاهيم والأفكار والمقاصد، مما يمنح فرصة كاملة لفحص خصوصية البناء الحجاجي في ذلك النسق الفريد، وكذا ختبار إمكانات اللسانيات التداولية - بوصفها منهجا متكاملا للبحث والنظر- في مقاربة نصوص القرآن الكريم الشريفة.

٣. التزام الخطاب القرآني الكريم عددا من المبادئ والاستراتيجيات التي كفلت له الحجة البالغة على الدوام، منها: تحريه إستراتيجية ناجزة تتوقع افتراضات الآخر، فتعمد إلى رصدها وفحصها بقصد صيانة الحجاج وحفظه من عوامل القصور والنقص، وهي سمة ثابتة فيه. كذلك وقوفه على تفاصيل الطرح الخلافي واستقصاؤه ما أمكن ذلك، فلا يجد مستدركاً عليه من بعد. أيضا استثمار المسالك المنطقية الممكنة لتدبير الحجج المناسبة، المؤهلة لنتائج واضحة حاسمة. الأمر الذي بدا جلياً في مواطن عدة، شرع خلالها في ابتكار السبل والتخطيطات المناسبة لهدم دفاعات الخصم وحل أقيسته، ثم تقديم آراء معتبرة، تملك الوجاهة والموضوعية لحسم الخلاف، وأخيرا السعي إلى تأسيس موقف حجاجي، أساسه التبكيت لا الإقناع، دون تعويل على اقتناع أو اعتراض من بعد.

مقصد الدراسة

إذا كانت المحاجة هي ممارسة الفكر المعرفي الصائب والمنهجية المنتظمة، فإن مقصد الدراسة هو تحري الأنشطة الاتصالية الحجاجية الناصعة في خطاب القرآن، ومقاربتها بالأدوات والإجراءات اللازمة، مما سيكشف لا محالة قيمة النموذج الفكري الاستدلالي ودوره البالغ في تحصيل نتائج مستقرة.

منهج الدراسة وأدواتها

تمتح الدراسة مفاهيمها وأدواتها وإجراءاتها من اللسانيات التداولية، كما تتحرى اختبار كفايتها في مقاربة حجاجية النص القرآني، واستحضار العوامل الفاعلة في سبيل ذلك ودلالاتها الكلية. وتأسيسا عليه فقد انصرفت همة الباحث إلى تحري مكونات الحجاج في الخطاب القرآني، ملتزما في ذلك إجراءات المنهج الوصفي وضوابطه، ومراعيا ألا تكون الدراسة إسقاطية لمناهج غربية على كتاب ربنا الباري، وإنما انتقاء الأدوات الملائمة، والإجراءات الواعية التي تناسبه، ثم الاستفادة من مخرجات النظرية البلاغية العربية وكتب إعجاز القرآن. ولم يلجأ الباحث إلى حصر دراسته في أجزاء بعينها أو سور محددة أو آيات وموضوعات من الذكر الحكيم؛ لكي يتمكن من جمع أدوات أنموذجه التحليلي واختبار كفايتها الإجرائية، على أن تكون الخطوة القادمة - بحول الله – تحليلية لأجزاء بعينها من الذكر الحكيم.

خطة الدراسة

- (أسباب الدراسة - مقصد الدراسة – منهج الدراسة وأدواتها – خطة الدراسة).
- الحُـجة (لغة واصطلاحا) - الحجاج (الجدلي/ الخطابي) / (التمثيلي (أو البلاغي) / العقلي (أو المنطقي).
- السمات الفكرية والمنهجية للمحاجة الاستداللية الحجاجي في القرآن (عدم التناقض/ الربط/ التطوير/ الدمج والاختزال).
- السمات الأسلوبية للخطاب الحجاجي في القرآن (اعتماد مبدأ فصل الخطاب/ تحكيم

الـذوق العربـي والحاسـة البلاغيـة/ الاهتمـام بتشـغيل القوالـب الثقافيـة الجـاهزة، دقـة صياغة الأسئلة القادحة).

- أدوات الحجـاج فـي القـرآن (بنـاء السـلم الحجـاجي/ الفعـل اللغـوي الحجـاجي/ الـربط الحجاجي/ الاستعارة الحجاجية).

الاتصال الحِجَاجي أصل في كل خطاب، والادعاء والاعتراض إغناء له وإشباع؛ لذلك كان تحليل الخطاب يرتكز أساسا على فحص حمولته الحجاجية التي ترتقي به إلى خطاب يقبل البيان والحجة. لذلك يُعد النشاط الحجاجي عماد الأنشطة التواصلية، بل إنه ضرورة معرفية، وسبيل إلى تحصيل المعارف، لكونه يستند إلى عدد من المناشط الفكرية والمنهجية المترابطة. وتبرز أهميته انطلاقا من أن "حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية، وليس العلاقة التخاطبية وحدها، فلا خطاب بغير حِجاج، ولا مخاطِب من غير أن تكون له وظيفة المدعي، ولا مخاطَب من غير أن تكون له وظيفة المعترِض... فإذا ثبت أن الحجاج هو الأصل في الخطاب، وثبت أيضا أن العلاقة الاستدلالية أصلية يتفرع عليها سواها ولا تتفرع على سواها، وإذا تضمن الخطاب علاقة تخاطبية، فيجب حينئذ ردها إلى العلاقة الاستدلالية[1].

وقد تطور مفهوم الحجاج خلال السنوات الأخيرة تحت عنوان البلاغة الجديدة أو الخطاب البلاغي، كما تطور أسلوب البحث في إجراءاته وتقنياته، لاسيما بعد تجدد الاهتمام بالجوانب التداولية المرتبطة به. وقد أتبع التطور السالف للحجاج تغير عام في منظومتيه المنهجية والمفاهيمية، بعد انفتاحه على حقول معرفية مجاورة، وبات من متطلبات الحجاج ضبط الأساليب والأشكال والخطط التي تناسب ظروف الإرسال وطبيعة المخاطَبين، كذلك العوامل التي من شأنها أن تمثل موجّهات للموقف الحجاجي،

وضوابط لإجراءاته، نحو المؤثرات السلوكية والاجتماعية والمعرفية الحافة بوسط إنجاز الخطاب، ودورها في التحكم في اتجاهات الأفراد، بقصد تهيئتهم لاعتقادات جديدة.

استقر الحجاج إذن في ميدان التواصل الإنساني، وصار يتداوله علماء النفس الاجتماعي أكثر من المناطقة، بل إنَّ بعض الدراسات اتخذت لنفسها اتجاها سلوكيا اجتماعيا بخلاف المعنى المستعمل عند **بيرلمان/ تيتيكاه – ١٩٥٨**(٢)، ولعل ذلك يجد له تفسيرا في اتجاهات الباحثين آنذاك التي اتجهت نحو التركيز على الدعاية والإقناع بشكل عام، لضمان سلامة الطرح الدعائي، ونفاذية مفعوله.

وفي ضوء التعريفات المتعددة للحجاج، فإن هناك ثلاث سمات تميز النص الحجاجي " أولها: العلاقة بين أجزاء النص الحجاجي علاقة منطقية أكثر من كونها علاقة تصورية. وثانيها: يُبنى النص الحجاجي، في شكله الرئيس، على مكونات ستة هي الدعوى (أو النتيجة) Claim، والمقدمات أو (تقرير المعطيات) Assertion of Data، والتبرير Warrant، ومؤشر الحال Qualifier، والتحفظات (أو الاحتياطات) Reservations. وثالثها: النص الحجاجي نص تقويمي، والقيمة مفهوم يُستنبط مما يقوله الناس وما يفعلونه، ومما تشيده المجادلات" (٣).

الحُجة / الحِجَاج

- **لغة** "على وزن فُعْلَة، وهي من الصيغ التي تأتي بمعنى اسم المفعول للمبالغة" (٤)، وأصل الكلمة من "**الحجُّ**: القصد، وحجَّ إلينا فلان أي قدم، وحَجَّه يحُجُّه حَجَّاً: قصده، وحَجَجتُ فلانا واعتمدتُه أي قصدته، ورجلٌ محجوجٌ أي مقصود... والحِجَّةُ: المرة الواحدة، وهو من الشواذ لأن القياس بالفتح... وقولهم: وحَجَّةِ الله لا أَفعَلُ بفتح أَوله وخفض آخره يمينٌ للعرب... والحُجَّة: البرهان، وقيل: الحُجَّة ما دُوفع به الخصم، وقال الأَزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفَرُ عند الخصومة. وهو رجل مِحجاجٌ أَي جَدِلٌ، والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وجمع الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نازعه الحُجَّةَ.وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غلبه على حُجَّتِه، واحتجَّ بالشيء: اتخذه حُجَّة" (٥). ومنهم من

ربط مدلول الحجة بالقصد، فقال:"وإنما سميت حجة لأنها تُحجُّ أي تقصد؛ لأن القصد لها وإليها" (٦)، وقيل: "الحجة هي الدليل القاطع الذي يفحم الخصم فلا يحير جوابا" (٧). ويذكر التهانوي أن "أصل المحجة وسط الطريق المستقيم، وتطلق الحجة على كل ما يدلي به أحد الخصمين في إثبات دعواه أو رد دعوى خصمه" (٨). وقد " اختص اللسان العربي بلفظ واحد للدلالة على معنى القصد ومعنى الاستدلال معا، وهو الفعل حجَّ الذي يفيد قصد في قولنا: حجَّ البيت الحرام، كما يفيد غلبة الحجة في قولنا: حاجَّه فحجَّه" (٩).

- **اصطلاحا** "الدلالة المبينة للمحجَّةِ، والذي يقتضي صحَّة أحد النقيضين أي المقصد المستقيم... والمُحاجَّة أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حُجته ومحجَّته " (١٠). ويذكر التهانوي أن "الحجة الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته" (١١).

وحول الفرق بين مصطلحي الحجاج والجدل في الخطاب القرآني فقط انتهى عبد الله صولة إلى أن " اعتبار القدماء وبعض المحدثين الحجاج مرادفا للجدل، ومرواحتهم بينهما في الاستعمال، واستخدامهم أحدهما معطوفا على الآخر باعتبارهما مترادفين، من شأنه أن يضيق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل، من حيث هو صناعة منطقية... والحال أن الحِجاج أوسع من الجدل... ومهما يكن من أمر فليس القرآن بمستجيب في كليته ولا حتى في في معظمه لمفهوم الحجاج باعتباره مرادفا للجدل أو المذهب الكلامي، مهما تعددت أنواع هذا الجدل". وفي موضع آخر: " إن الحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدلا. فهو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، من حيث أن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج كما يقول أرسطو" (١٢).

أنواع الحجاج

- (أولا) الحجاج الجدلي/ الحجاج الخطابي

ناقش عبد الله صولة نوعي الحجاج: الجدلي والخطابي، من منطلق أن الحجاج الجدلي مداره مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة، لغاية التأثير العقلي المجرد، وتُمثِله في

التراث العربي الإسلامي مناظرات علم الكلام. أما الحِجاج الخطابي فغايته إثارة المشاعر والانفعالات، واسترضاء الجمهور، ولو بالمغالطة والخداع. من أجل هذا أحجم القدماء عن النظر إلى القرآن من منظور البلاغة التي يعتمدونها في تعريف الحجاج الخطابي، لارتباطه بالمغالطة والإيهام والخداع. ولما لم يَصْدق الحجاج بمفهوميه الجدلي والخطابي، ولم يكن ليتفق مع كلام الله المنزل على نبيه، ناقش عبد الله صولة المفهوم الجديد للحجاج، الذي انبثق من نظرية بْرِلْمان وتيتيكا، فهو الذي هيأه ليكون منهجا قابلا للتطبيق على الخطاب القرآني، كونه ليس استدلالا منطقيا مجردا، وليس مغالطة أو إيهاما. فبإضفائهما بعدا عقليا على الحجاج أخرجاه من دائرة التلاعب بالجمهور إلى فضاء المحاورة، حيث يُقاسم الخطيب جمهوره مقدمات ومنطلقات مشتركة (١٣).

- **(ثانيا) الحجاج التمثيلي أو البلاغي / الحجاج العقلي أو المنطقي)**

جاء الخطاب القرآني ردا على عقائد فاسدة، وخطابات زائغة، ناعتا مناوئيه بمذموم الجدل واللدد، فقال تعالى: "وقالو أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون" الزخرف/58، وقال عز من قائل: "فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لُدًّا" مريم/97 . فكان معبرا بذلك عن أرقى مسالك الحِجاج وأكثرها نصاعة، مُنجزا هدفه، ومُلزما خصومه الحجج البالغة.

كما تعددت المقاربات لتحليل النماذج الحجاجية في الخطاب القرآني، فانطلقت تفحص المضامين الحجاجية في الآيات، وتقارب أنواعها ومكوناتها. وكان من الملحوظات الأساسية تفرع الحجاج في القرآن إلى نوعين: تمثيلي وعقلي، والفرق بينهما واضح «لا يخفى على ذي بصيرة أن نموذج الحجاج هو قياس التمثيل، إذ المعروف أنه هو الاستدلال الذي يختص بالخطاب الطبيعي، في مقابل البرهان هو الاستدلال، الذي يختص بالقول الصناعي" (١٤). وقد سلك الخطاب القرآني المسلكين الحجاجيين.

⇐ المسلك الأول يمثله قوله تعالى: "أَم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ۞ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عمل يصفون"

الأنبياء/٢١-٢٢ (١٥). وكذلك قوله عز وجل:"قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ۞ قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا" مريم/٨-٩ (١٦).

⇐ المسلك الثاني يمثله قوله تعالى: "ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون" الروم/٢٨ (١٧). ومنه كذلك قوله تعالى:"مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون" البقرة /١٧ (١٨).

أدوات الحجاج في القرآن

(أولا): بناء السلم الحجاجي

تتفاوت الاستدلالات والآراء في حُجِّيتها، كما تتدرَّج في حسمها الخلافات على مقياس القوي والأقوى. ويعدُّ مفهوم السلم الحجاجي من أكثر المفاهيم دورانا في تحليل الخطاب الحجاجي، وهو عبارة عن مجموعة أقوال غير فارغة، مزودة بعلاقة ترتيبية محددة من حيث علاقتها بالنتائج، واستلزام بعضها للبعض الآخر، ومُزودة الشرطين التاليين:

١. كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

٢. كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى. كما تنتظم السلم الحجاجي ثلاثة قوانين تضبط إجراءاته: قانون الخفض، وقانون القلب، وقانون تبديل السلم (١٩).

ويرتبط السلم الحجاجي بمقاصد المستدل ومآربه واتجاه الطرح الخلافي، إلى الحد الذي ربما يسلك معه مُتحاجَّان اتجاهين متناقضين على السلم ذاته، فتكون الحجة لدى أحدهما في أدنى درجات السلم، بينما تستمر صعودا عند الآخر لتحتل أعلى درجة فيه. وربما يتعاكس اتجاه الإرسال الحجاجي عند فردين، فتكون الحجَّة موضع الإثبات عند

أحدهما، وموضع النقض عند خصمه. ومن أمثلته ما ورد من آيات كريمات:

- في سورة الشرح، وفي إطار سعي الخطاب الرباني إلى الرسول الكريم ﷺ بمواصلة العبادة والاجتهاد فيها، يعرض الخطاب صور الإنعام مترتبة ترتيبا تصاعديا، قال تعالى: "ألم نشرح لك صدرك ۞ ووضعنا عنك وزرك ۞ الذي انقض ظهرك ۞ ورفعنا لك ذكر۞ فإن مع العسر يسرا ۞ إن مع العسر يسرا ۞ فإذا فرغت فانصب ۞ وإلى ربك فارغب" الشرح/١-٨. فإنَّ آلية ترتيب السلم الحجاجي "مرتبة ترتيبا تصاعديا" تكون على النحو التالي:

❸ ورفعنا لك ذكرك ☜ ارتفاع الذكر والشأن.

❷ ووضعنا عنك وزرك ☜ غفران الذنب البالغ.

❶ ألم نشرح لك صدرك ☜ انشراح الصدر وسعته.

- وفي سورة الشعراء يدور نص الحجاج بين إبراهيم وقومه وفق مسلك حجاجي متصاعد، يبدؤه باستفهام مباشر ليست حقيقته الاستخبار بقدر الاستنكار، ثم إنه يروم الصدام حين ينبئهم بعدم جدوى عبادتهم إياهم، ثم إنه ينتقل إلى مرحلة أخرى هدفها التسويق للعبادة الربانية الخالصة ومميزاتها. قال تعالى: " واتل عليهم نبأ إبراهيم ۞ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون۞ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين۞ قال هل يسمعونكم إذ تدعون ۞ أو ينفعونكم أو يضرون۞ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ۞ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون۞ أنتم وآباؤكم الأقدمون ۞ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ۞ الذي خلقني فهو يهدين ۞ والذي هو يطعمني ويسقين۞ وإذا مرضت فهو يشفين ۞ والذي يميتني ثم يحيين ۞ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين" الشعراء/٦٩ – ٨٢. **فخلال السلم الحجاجي عولجت القضايا الآتية تصاعديا:**

❹ الذي خلقني فهو يهدين۞ والذي هو يطعمني ويسقين۞ وإذا مرضت فهو يشفين ۞ والذي يميتني ثم يحيين ۞ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم

الدين" ☜ دلائل قدرة الخالق من خلال قضايا الخلق، والرزق، والشفاء والبُرء، والبعث، والرحمة والمغفرة يوم الحساب.

- ❸ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون❁ أنتم وآباؤكم الأقدمون❁ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين☜ تقرير صادم عن آلهتهم
- ❷ هل يسمعونكم إذ تدعون ❁ أو ينفعونكم أو يضرون ☜ استدراج عن جدوى آلهتهم ونفعها.
- ❶ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ☜ استفهام عن طبيعة عبادة قومه.

(ثانيا): الفعل اللغوي الحجاجي

إن بنية الخطاب القرآني بنية استدلالية إقناعية وليست برهانية، وهي بنية حساسة تمج بأفعال كلامية متنوعة بين المتكلم والمتلقي، وتؤدي وظيفة حجاجية محددة. وتعدُّ نظرية أفعال الكلام العامة من أبرز الإسهامات في مجال تحليل الأحداث اللغوية (٢٠). فقد بات مفهوم الفعل الكلامي مركزيا داخل العمل الحجاجي، وأصبح فحص إنجازيته والتأثيرات المتعالقة معه أحد المفاتيح الرئيسة لتحليل الخطاب، وباتت كل عبارة متلفَّظ بها ينبغي ألا توصف فقط من جهة تركيبها الداخلي والمعنى المحدد لها، بل ينبغي كذلك أن يُنظر إليها من جهة الفعل الكلامي تام الإنجاز، المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة (٢١).

كما سلك القرآن نهجا مقاصديا يهدف إلى التبليغ والإقناع، ويحمِل المتلقي على التجاوب مع خطابه "لتغيير حاله والتأثير فيه وإقناعه بالرسالة الجديدة" (٢٢). ويمكن التعبير عن الترجمة الحجاجية لنصوص الخطاب القرآني على الوجه الآتي:

ففي قوله تعالى في سورة النصر: تعدُّ نظرية أفعال الكلام العامة من أبرز الإسهامات في مجال تحليل الأحداث اللغوية (٢٣).

أقوال	أفعال	جزاء
قول١ : إذا جاء نصر الله والفتح ☜ إنعام (نصرة وفتح) قول٢: ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ☜ تعزيز الدين	فعل١ : فسبّح بحمد ربك ☜تنزيه وشكر فعل٢ : واستغفِره ☜ توبة	نتيجة ☜إنه كان توابا

قول١ + قول٢ = (فعل١+ فعل٢) نتيجة

أقوال	أفعال	جزاء
قول١ : إنا أعطيناك الكوثر☜ عطاء إلهي	فعل١ : فصلِّ لربك ☜شكر النعمة فعل٢ : وانحر ☜ شكر النعمة	نتيجة ☜ إن شانئك هو الأبتر

قول١ = (فعل١+ فعل٢) نتيجة

فما بين العطاء والنصرة تأتي أفعال كلامية قوامها الحمد والشكر على جزيل نعم المعطي الوهاب، ولاريب أنها أفعال كلامية ناجزة، والأدءا اللغوي ناجح، والبنية الحجاجية ناجحة، بعدما استوفت مقومات الإنجاز وشرائطه؛ كونها صادرة من الإله المتعالِ إلى أبر الخلق وأطوعهم لأوامر ربه وهو النبي ﷺ.

- ومنه كذلك قوله تعالى

أقوال	أفعال	جزاء
قول١ : لإيلاف قريش❁ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ☜ تذكير بالنعم	فعل١ : فليعبدوا رب هذا البيت ☜توحيد بالعبادة	نتيجة١:الذي أطعمهم من جوع ☜ إغناء وتنعيم نتيجة٢ : وآمنهم من خوف ☜ أمن وأمان

قول١ = فعل١ (نتيجة١+٢)

(ثالثا): الربط الحجاجي

ترتبط وضعية الخطاب الحِجاجي بمقومات عدة تسهم في بناء هيكله وترتيب مكوناته، بالإضافة إلى ضبط منهجيته ودعم مساره. ومن تلك المقومات "الروابط" التي تؤدي **دورا فاعلا في ترتيب الحجاج، وربط** النتائج بالمقدمات،كما أنها تُفصِّل مواضع الحجج **وتُرتب درجاتها،** فتقوي واحدة منها على الأخرى. يقول بيرلمان: "حينما نتوفر على كم من البيانات والمعطيات فإننا نمتلك إمكانات وافرة... ويعد الاختيار من بين الروابط الخطابية المتاحة مهم بقدر أهميته في التصنيفات أو الصفات" (٢٤).

ويدخل ضمن اهتمام التداوليات فحص العلاقة بين أجزاء الخطاب الواحد والأدوات اللسانية المحققة لهذا الغرض، ومن هذه الأدوات أدوات الربط وما تؤديه من وظيفة سيمانطيقية وتداولية معا "إذ تدل على العلاقات بين الأحداث كما يمكن أن تشير إلى العلاقات بين الجمل والقضايا في كل خطاب مؤسَّس على تلك العلاقات السيمانطيقية" (٢٥).

وتقوم الروابط **التداولية** بالربط بين حجة ونتيجة أو بين عدة حُجَج، كما أنها تسمح بتعدد المواقف والاحتمالات، وتمنح الخطاب الذي يرد بعدها دعما صوب الدعوى موضع

الحجاج مما يسهم في دفع مساره، ومن أشهرها: بل - لكن - حتي. وقد استعان الخطاب القرآني بها جميعا لترتيب حججه وتنظيم منطقه؛ لما لها ولما لها من طاقة تعبيرية ووظيفية، ومقدرة على توجيه الأداء الحجاجي. وسنوضح الآن الاستعمال الحجاجي للروابط السابق ذكرها:

- **[بل]**: رابط حجاجي يفيد الإضراب الإبطالي، ومعناه نفي الحكم السابق عليه، وإثبات ما بعده. وله قدرة على توجيه الكلام إلى نتيجة مُعدَّة. وله حالتان: "الأولى: أن يقع بعده جملة، والثاني: أن يقع بعده مفرد. فإن وقع بعده جملة كان إضرابا عما قبلها، إما على جهة **الإبطال** نحو: "أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق"، وإما على جهة **الترك** للانتقال (من غير إبطال) نحو: "ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون۞ بل قلوبهم في غمرة" (٢٦).

ومما ورد على جهة الإبطال قوله تعالى: "واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون۞ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم" يوسف/٨١-٨٢. فالدفع الحجاجي هنا نحو دعم الحجة الثانية عقب (بل) بوصفها الأصدق، لكونها صادرة من النبي الصادق، والأب المشفق، بخلاف ما قبلها الصادر عن نية مبيتة للغدر

- **خطاب الأسباط (حج١ ← نتيجة)**: اسأل القرية – اسأل العير ← نحن صادقون

☒ بـــــــل ☑

- **خطاب يعقوب (حج٢ ← لا- نتيجة)**: سوَّلت لكم أنفسكم أمرا ← أنتم كاذبون ومدبّرون

- **[لـــكـــن]** : رابط حجاجي، قادر على توجيه الخطاب إلى الجهة التي يقصد إليها الكلام، فتكون الحجة التي ترد بعده أقوى من الحجة التي قبله. وبمقدور المرسل ترتيب حجاجه وفق سلمية محددة، واستثمار خاصية الانعكاس الكامنة فيها لتوجيه الخطاب كاملا. فهي "حرف استدراك، ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خِفت أن يُتوهم من

الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلبا وإن إيجابا، ولذلك لايكون إلا بعد كلام ملفوظ به أو مقدر... ولا تقع (لكنَّ) إلا بين متنافيين بوجه ما. فإن كان ما قبلها نقيضا لما بعدها، نحو: قام زيد لكن عمرا لم يقم، أو ضدا نحو: ما هذا أحمر لكنه أصفر، جاز بلا خلاف. وإن كان خلافا نحو: ما أكل لكنه شرب، ففيه خلاف، والظاهر الجواز. وإن كان وفاقا لم يجز، بإجماع" (٢٧).

وتسلك لكن في الخطاب مسلكين: أولهما تعارضي والثاني إبطالي. **فمن الأول** قوله تعالى:" تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ **" المائدة/٨٠-٨١.**

- **المؤمنون** (حج١ ← نتيجة): **يوحِّدون الله، ويصدقون النبي ﷺ، ويقرون بالفرقان ☜ لم يتخذوا الكفار من بني إسرائيل أنصارا ☜ أهل صلاح وإيمان وعافية.**

↤ لكنَّ ↦

- **الفاسقون** (حج٢ ← لا- نتيجة)**: لم يؤمنوا بالله، ولم يصدقوا نبيه، ولم يقرُّوا بالقرآن ☜ اتخذوا الكفار من بني إسرائيل أولياء وأنصارا** ☜ كثير منهم أهل خروج عن طاعة الله.

ومن الثاني: قوله تعالى: "يسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**" البقرة /١٨٩.** وذلك على اعتبار أن البر عمل قلبي يتوجب منه تحري استرضاء الخالق في القول والفعل، ولا علاقة له بإتيان البيوت من ظهورها أو أبوابها. **ويمكننا تمثيل التعارض الحجاجي البارز في الآيات من خلال الترسيمة الآتية:**

- **البر** (حج ← نتيجة)**:** إتيان البيوت من من ظهورها ☜ اعتقاد تحريم إتيان البيوت من أبوابها في حال من الأحوال.

☒ لـكـنَّ ☑

➢ **البـر** (حج ← لا- نتيجة): التقوى ☜ إتيان البيوت من حيث شئتم، من أبوابها وغير أبوابها.

● **فائدة**: إذا اجتمع رابطان حجاجيان، مثلما ورد في قوله تعالى: ""وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لا تَشْعُرُونَ" **البقرة/١٥٤، فإننا يمكننا عن التعبير عن ذلك بالترسيمة التالية**

➢ **القتلى في سبيل الله** (حجة ← نتيجة): أنتم تقولون إنهم **أموات** ☒ **بـــل** ☑ هم أحياء عند ربهم

➢ **القتلى في سبيل الله** (حجة ← لا- نتيجة): أنتم تعتقدون موتهم ↤ **لـكـنَّ** ↤ **أنتم لا تشعرون بهم**

(رابعا): توظيف الأشكال البلاغية والاستعارية بهدف الاستفادة من طاقتها الحجاجية

تعد الاستعارة خطابا حجاجيا ناجزا، نظرا لما تقدمه من عمليات فكرية ومعرفية تتصل بالفهم والتأويل بين المرسل والمستقبل، وهو أمر بديهي، إذ إن "قوة الحِجاج في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي. فإن للاستعارات ذات الدور الحجاجي خاصية ثابتة، فالسمات الدلالية المحتفَظ بها في عملية التخيل الدلالي الذي تقوم عليه هذه الاستعارات هي سمات قيمية"(٢٨).

كذلك فإن "الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحِجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جداً، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية" (٢٩). ويؤدي القول الاستعاري أداء حجاجيا فاعلا قد يرقى به إلى أعلى درجات السلم الحجاجي، على اعتبار أن طاقة الاشتغال الحجاجية للقول الاستعاري أعلى بكثير من الأقوال العادية. فخطابان من قبيل: (جاءتنا هند أمس – زارنا البدر أمس) لاشك أن ثانيهما سيشغل قمة السلم الحجاجي.

ومما يميز القول الاستعاري عدم جريان خواص الإبطال والتعطيل عليه بخلاف الأقوال العادية. فلو قلنا مثلا: هند فاتنة لكنها متكاسلة، لوجدناه خطابا حجاجيا تعارضيا عاديا، أما خطاب من قبيل: عادل أسد لكنه يبالغ أحيانا، لما استقام الكلام واحتاج إلى استبدال المفردة الاستعارية بمفردة عادية تتصل بالشجاعة.

ومن الأقوال الاستعارية البالغة قوله تعالى: "واشتعل الرأس شيبا"، وقوله عز من قائل: " وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون"، وقوله تعالى: " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق". ومما يذكر في هذا السياق أنه يمكن إدراج الاستعارات ضمن أدوات السلم الحجاجي؛ بوصفها تؤدي أدواراً بالغة ضمن العملية الحجاجية. ومرد الأمر ها هنا أن المرسِل يكيف تلك الأشكال والأنماط البيانية وفق إرادته ويختار منها ما يناسب طرحه.

السمات الفكرية والمنهجية لخطاب الحجاج في القرآن

لعمري إن التجربة الحجاجية في الخطاب القرآني لواعية، من خلال الممارسة المنتظمة لأفعال تفكيرية ومنهجية، تهدف إلى نقض الحجاج المضاد وتوجيهه توجيها دقيقا. وهي سمة ثابتة فيه، فتراه ينطلق من إستراتيجية فكرية ومنهجية ناجزة، يلتزمها ولايحيد عنها تجاه كل رؤية مخالفة أو منطق مغاير. كذلك يتحرى تطبيق منهجية ذهنية واعية تأخذ في اعتبارها ملاحقة الآراء المخالفة بهدف نقضها؛ مما مكَّن لخطابه، وهو أمر يمكن فحصه واختباره في جميع نصوص القرآن.

وقدأتاح اتساع نطاق ممارسة الأفعال المنهجية والفكرية داخل قرآن ربنا تحصيل نتائج منظمة، وتسوية واضحة مستقرة. ومن الأفعال التي انتظم دورانها: المقابلة، والتساؤل، والتأسيس، والتدعيم، والتشكيك... إلخ، حتى إنها باتت لاحقا مؤشرات منتظمة للعمل الحجاجي فيه. وبشكل عام: حاز القرآن مهارات فكرية ومنهجية متقدمة فيما يتصل بتركيب المواقف، ثم رصد آلية ذهنية محددة لعرضها، ومناقشة الأفكار والآراء الواردة خلالها. كذلك مقارنة المواقف، بالإضافة إلى الربط المنطقي والاستنتاج والتدعيم

والاستدراك... إلخ، وهو ينتقي أنسب الإجراءات المنهجية وأكثرها التحاما مع الطرح المقدَّم، وهو في ذلك كله يتجنب الاستطراد والخلط والانتقالات غير الموضوعية مع حسن التخلص.

وقد التمس الذكر الحكيم خطابا واعيا، وتنسيقا فاعلا للعمليات الفكرية والمنهجية كافة، وفق ظروف الطرح ومتطلباته. هادفا من خلال ذلك إلى بناء حجاج رصين، وإعطاء الفرصة الكافية لكل متلق واع لتقييم المواقف والأفكار، ومن تلك الممارسات الفكرية:

- عدم التناقض: مفاده أمران متناقضان لايمكنهما أن يكونا صادقين في آنٍ؛ لذا يدحض مقولة أحد الفريقين ويقيم عليه الحجة؛ لكي تبرز مقولة الآخر، دون ارتضاء التوفيق بينهما مسلكا.
- الربط: ربط النتائج المتقاربة بعضها ببعض، ثم التزام تدويرها في المواضع الحجاجية المتقاربة طلبا للتأكيد والدعم.
- التطوير: ضم المقدمات والفروض بعضها إلى بعض، ثم ربطها بما يليها ضد مصلحة الخصم، مع مراعاة التقدم في المعالجة من خلال تطوير تلك المقدمات والفروض، والدفع بها تباعا بقصد تحصين الممارسة الحجاجية.
- الدمج والاختزال: التزام الإحالة الداخلية - إلى مواضع سابقة أو لاحقة من مصنفه- بهدف بيان اتساق الحجاج، وصدق مخرجاته.

السمات الأسلوبية للخطاب الحجاجي في القرآن الكريم

يتَّسم حِجَاج القرآن الكريم بسمات أسلوبية محددة هي الوضوح والدقة والموضوعية. حتى إن جميع من اشتغل على الخطاب القرآني شَهِدَ بذلك، حتى إنه ليستأثر بطابع خاص يميز حجاجه على أيسر سبيل. ومن سمات حجاج القرآن الكريم كذلك:

١. اعتماد مبدأ فصل الخطاب، ويعني القول تجتمع فيه الحجة البالغة مع دقة الصياغة، والصنعة اللفظية. وذلك من خلال الاستغراق:" ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما" آل عمران/٦٧. أو الاستنتاج: :"وإن الذين أورثوا الكتاب من

بعدهم لفي شك منه مريب ❁ فلذلك فادع واستقم" المؤمنون/١٤-١٥. أو التركيب والمقابلة: "وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله" التوبة/٣٠. أو التشكيك: "ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض" المؤمنون/٩١. أو المقارنة: "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا" الزمر/٢٩. التأكيد: "ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " آل عمران/١٠٢. الإجمال: "فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها" الروم/٥٠. التساؤل: "ألم ترَ إلى ربك كيف مدَّ الظل" الفرقان/٤٥.

٢. تحكيم الذوق العربي والحاسة البلاغية في مَعْرِض الاحتجاج، بل قد يعدُّه المعوّل الرئيس في فصل الحجاج. واقرأ إن شئت تفسير قوله عز وجل: "وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية" الأنعام/٣٥. يقول: "تُرِك جواب الجزاء فلم يُذكر لدلالة الكلام عليه، ومعرفة السامعين بمعناه. وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يُفهم معناه عند المخاطَبين به. فيقول الرجل منهم للرجل: (إن استطعت أن تنهض معنا في حاجتنا، إن قدرت على مَعُونتنا)، ويَحذِف الجواب، وهو يريد: إن قدرت على معونتنا فافعل" [٣٠].

٣. الاهتمام بتشغيل القوالب الثقافية الجاهزة، لاسيما الأمثلة، التي ترتبط بتجارب معرفية تؤيد مساره الحجاجي وتدعمه، مستفيداً بذا من طاقتها الحِجَاجية [٣١]. فتراه يحاذي الواقع اللغوي ملتمسا أمثال قريبة المأخذ، ذات عناصر عالقة في الوعي الجمعي، لضمان وصول الأفكار وتأثيراتها بشكل بالغ. ومنه قوله تعالى: "إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السمآء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط" الأعراف/٤٠. فالصورة ناصعة الإفادة باستحالة وطء الكافر الجنة، وبالغة الأثر في ضميره، بسبب تعالقها عنده مع استحالة توقع ولوج الجمل (أو حتى الحبل الغليظ) في سَمِّ الخياط. ومنه كذلك قوله عز جاهه: "فما لهم عن التذكرة معرضين ❁ كأنهم حمر مستنفرة ❁ فرت من قسورة" المدثر/٤٩ – ٥١. والمثل هنا منسجم كذلك

مع المعنى الذهني المجرد للنفور والإعراض عن الدعوة والتذكرة والإخبات إليهما. وآخرا قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ۞ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" الأعراف/١٧٥-١٧٦. فرفض سبل الهداية المبذولة والإعراض عنها جعل صاحبها من الأشقياء، يكابد ويعاني ويلات صنيعه.

٤. دقة في صياغة الأسئلة القادحة أو الناقضة، وانتزاع الجواب الدقيق عليها. وهي أسئلة يطرحها على المستدِل؛ لينقض حجاجه ويقدح فيه. وتتفاوت القوادح فيما بينها، فمنها ما يعدُّ ناقضا للاستدلال، يلغي استدلال المُحتج به مطلقا، ومنها ما يبطل الاستدلال في موضع دون غيره، ومنها ما يقدح في الاستدلال دون أن يمس جوهره. قال تعالى: "وجعلوا الملائكة الّذِين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم " الزخرف/١٩. وقال تعالى: " ولئن سألتهم من خلق السمواتِ والأرْض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون اللهِ إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضرِه أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته" الزمر/(٣٨). وقال قال تعالى: "سلهم أيُّهُمْ بِذلِك زعيم" القلم/ ٤٠.

النتائج: خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، بيانها على النحو الآتي:

١. إن النماذج الحجاجية في الخطاب القرآني اتسمت بالقدرة البالغة على تشكيل الرؤية وتنظيم الوعي، فكان خطابا حجاجيا بامتياز، معجِز وناجز، وقد تدرجت فيه مراتب الاحتجاج من الضمنية إلى الصريحة مما يؤكد السمت الحجاجي في خطاب الذكر الحكيم.

٢. برزت قيمة بعض الأدوات الحجاجية- لاسيما السلم الحجاجي والأفعال المنهجية والتفكيرية - التي تسمح بضبط الممارسة الحجاجية، ودفع مسار الاحتجاج نحو إنتاجية حاسمة. كذلك فإن بعض الإمكانات اللغوية - من قبيل الاستعارة – لعبت دورا

فاعلا، فلم يعد يقتصر دورها على التجميل والزخرفة، وإنما باتت لها مهمة حجاجية بالغة. أيضا متضمنات القول - الاستلزامات الحوارية والافتراضات المسبقة – مارست دورا فاعلا في تهيئة المقاصد الخطابية الحقيقية للمرسلِ الأصلي وتحقيقها، مما يؤصِّل علاقتها بإنتاج الخطاب، ومن ثم مقاربتها من وجهة تداولية.

- **الخاتمة**

وبعد... فالحمد لله كِفاء أفضاله، وجزاء نعمه. فإنني واع إلى محدودية الدراسة، ونواحي القصور فيها، إذ لم تبلغ غايتها، ولم تستوف أهدافها، بعدما أشرت إلى قضايا وإجراءات بشكل مقتضب، مع أنه كان يلزمها مزيد العمل والفحص، فهي مشاريع بحث مستقلة وكاملة، أرجو من العلي القدير معالجتها في أجل قريب بحوله وقوته. فإن أكن قاربت وأصبت، وجاء البحث وفق ما أرجوه فذاك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن شابه التقصير فالله وليي وهو من وراء القصد، وحسبي أنني بذلت الجهد، وأنفقت ما في المُكنة. أسأل الله أن يتقبله وأن ينفع به، وأن يختم بالصالحات أعمالنا، إنه أكرم مسؤول وأرجى مأمول، وهو المستعان، وعليه التكلان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

مراجع البحث

(أولا) الكتب العربية والمترجمة

١. ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ت٦٣٧ ه)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د.أحمد الحوفي، ود.بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢.الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن ، ت٦٨٦ هـ)، شرح شافية ابن الحاجب (معه شرح شواهده لعبد القاهر البغدادي، ت ١٠٩٣ه)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥.

٣.صلاح فضل (١٩٩٢): بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ع ١٦٤.

٤. الطبري (محمد بن جرير، ت٣١٠ه)، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: شار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٩٩٤.

٥. طه عبد الرحمن (٢٠٠٠): في أصول الحوار وتجديد علم الكلام المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط (٢).

٦..... (١٩٩٨): اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١.

٧. عبد الله صولة (٢٠٠٧): الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط (٢).

٨. الفخر الرازي (ضياء الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، ت٦٠٦ هـ)، تفسير الفخر الرازي المُشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط١/١٩٨١.

٩.فرحان بدري الحربي (٢٠٠٣): الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط(١).

١٠. ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤ ه)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١٩٩٩/٢.

١١. محمد العبد (١٩٩٦): الحدث اللغوي (مفهومه وأنواعه)، بدون دار نشر أو رقم طبعة.

١٢. المرادي (أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي، ت ٧٤٩ه)، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٢/١.

١٣. مسعود صحراوي (٢٠٠٥): التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة، بيروت، ط (١).

١٤. ابن وهب (أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب، ت ٣٣٥ هـ): البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ١٩٦٧.

(ثانيا) الكتب الأجنبية

15. Ch. Perlman & L. Olbrechts Tyteca, the New Rhetoric (A Treatise on Argumentation), Translated by John Wilkinson & Purcell Weaver, University of Notredame Press.

(ثالثا) الدوريات

١٦. أبو بكر العزاوي (٢٠٠١): سلطة الكلام وقوة الكلمات، مجلة المناهل، وزارة الثقافة والاتصال المغربية، العددان (٦٣/٦٢).

١٧. ..... (١٩٩١): نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة ، المغرب، السنة الثانية،ع ٤.

١٨. طه عبد الرحمن (١٩٨٧): مراتب الحِجَاج وقياس التمثيل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، المغرب،ع ٩.

١٩. محمد العبد (٢٠٠٢): النص الحجاجي العربي "دراسة في وسائل الإقناع"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٠.

٢٠. ميشيل لوجيرن (١٩٩١): الاستعارة والحِجاج، مجلة المناظرة، المغرب، السنة

الثانية،ع ٤، ١٩٩١.

(رابعا) المعاجـم

٢١. الشيخ خالد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الحليم النَّجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤.

٢٢. الراغب الأصفهاني: المفردات، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون رقم طبعة أو تاريخ.

٢٣. الزبيدي (محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط (١).

٢٤. ابن منظور (أبوالفضل جمال الدين بن مكرم ، ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦.

الموسوعات ودوائر المعارف

٢٥. التهانوي (محمد علاء بن علي)،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ١٩٩٦ .

(خامسا) المؤتمرات

١. عبد الرحمن بودرع (٢٠١٣): في لسانيات النص وتحليل الخطاب (نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم)، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، كرسي القرآن وعلومه في جامعة الملك سعود، الرياض، ١٦-٢٠ فبراير.

٢. عدنان أجانة (٢٠١٣): علوم القرآن في ضوء علم النص(قراءة في البنية والمنهج)، المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، فاس- المملكة المغربية، ١١-١٣/٤ أبريل.

٣. محمد سالم ولد محمد الأمين (٢٠٠٠): مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره فى البلاغة المعاصرة، سلسلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت، مج ٢٨، ع(٣).

---

١. طه عبد الرحمن (١٩٩٨): اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط١، ص(٢٢٦).

٢. يُعدُّ **ك. شايم بيرلمان**، وزميله **ل. أولبريشت تيتكاه** - عالمان مختصان بالمنطق ويبحثان في مبادئ

الاحتجاج ووسائله - أول من أطلق مصطلح **البلاغة الجديدة** من خلال دراسة لهما بذات الاسم (مقال في البرهان: البلاغة الجديدة) عام ١٩٥٨. وكانت تهدف إلى فحص البرهان أو المحاجة الاستدلالية، بوصفها خطابا يستهدف عقل المتلقي، والتأثير في سلوكه. وتعدُّ النظرية التي طورها بيرلمان وتيتيكاه من أبرز مباحث هذه البلاغة الجديدة؛ إذ أظهرت اهتماما خاصا بأساليب إجراء اللغة، وتنويعات الخطاب ومقاماته، وطبائع المتلقين. وكان من نتائج ذلك أن صارت البلاغة الجديدة يُنظر إليها بوصفها نظرية للحِجَاج// للمزيد: محمد سالم ولد محمد الأمين (٢٠٠٠): مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره فى البلاغة المعاصرة، سلسلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت،مج ٢٨،ع (٣)، ص(٥٦-٥٧). وقد تجاوز المؤلِّفان ببحثهما حيز البلاغة القديمة، بوصفها فن الكلام المقنع للجمهور، والخطب الطنانة، التي تُلقى في الميادين العامة أمام حشود من الناس بهدف الحصول على تأييدهم، واتجها نحو البحث في البرهان وتحليل الحجج، بوصفها ذات طابع عقلي. وتُوجه إلى قراء لايخضعون إلى الإيحاءات والضغوط، أو المصالح والهواء. وعندها يتضح أن تقنيات البرهنة والاستدلال تبدو فاعلة على كل المستويات، سواء أكان الأمر يتعلق بحوار جدلي أم بنقاش عائلي، في وسط مهني متخصص أو بمحاجة أيديولوجية/ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص(٦٧ -٦٩) بتصرف. وبذا يكون بيرلمان قد قصر اهتمامه على أسلوب التفكير وآليته، متحررا من التقاليد الشفوية الراسخة، التي كانت تقصر اهتمامها على الخطابة الشفوية الطنانة، وتفترض الجموع والحشود، ولم يهتم سوى بمنطق الحجاج بواسطة اللغة// فرحان بدري الحربي (٢٠٠٣): الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية، بيروت ط (١)، ص(٣٢) بتصرف.

٣. محمد العبد (٢٠٠٢): النص الحجاجي العربي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ع ٦٠، ص (٤٤- ٤٥).
٤. شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥، ج١، ص(١٦٢).
٥. لسان العرب، مادة حجج.
٦. تهذيب اللغة، مادة حجج، وتاج العروس.
٧. دائرة المعارف الإسلامية ٣٦٩/١٣.
٨. التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ١٩٩٦، ص(٦٢٢).
٩. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص(٢٢٦).
١٠. المفردات للراغب الأصفهاني، حج، ص(١٠٧- ١٠٨).
١١. التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص(٦٢٢).
١٢. عبد الله صولة (٢٠٠٧): الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط (٢)، ص (١٥-١٧).
١٣. السابق، ص (١٧-٣٠).
١٤. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص(٢٣٢).
١٥. الفخر الرازي: « في وجه الاستدلال بقوله تعالى... فنقول: لو فرضنا وجود إلهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات، ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تسكين زيد وتحريكه. فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والآخر تسكينه، فإما أن يقع المرادان وهو المحال؛ لاستحالة الجمع بين الضدين، أو لا يقع واحد منها وهو محال؛ لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر، فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود

مراد ذلك وبالعكس. فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال... إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر، فالذي وقع مراده يكون قادرا، والذي لم يقع مراده يكون عاجزا، والعجز نقص، وهو على الله محال» مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط١٩٨١/١، /١٥١-١٥٠.

١٦. الفخر الرازي: «في وجه الاستدلال بقوله تعالى... فنقول: إنه لما خلقه من العدم الصرف والنفي المحض كان قادرا على خلق الذوات والصفات والآثار. وأما الآن فخلق الولد من الشيخ والشيخة لا يحتاج فيه إلا إلى تبديل الصفات. والقادر على خلق الذوات والصفات والآثار معا أولى أن يكون قادرا على تبديل الصفات» السابق، ٩١/١٢.

١٧. الفخر الرازي: « في وجه الاستدلال بقوله تعالى... نقول: فإذا لم يجز أن يكون مملوك يمينكم شريكا لكم - مع أنه يجوز أن يصير مثلكم من جميع الوجوه، بل هو في الحال مثلكم في الآدمية، حتى إنكم ليس لكم تصرف في روحه وآدميته بقتل وقطع، وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء الحاجة – فكيف يجوز أن يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه شريكا له؟!» السابق، ٩١١/٥٢.

١٨. ابن كثير: «وتقرير هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما على يمينه وشماله، وتأنَّس بها، فبينا هو كذلك إذ طُفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي... فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى، واستحبابهم الغي على الرشد»// تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١٩٩٩/٢، ١٨٦/١.

١٩. طه عبد الرحمن (٢٠٠٠): في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط(٢)، ص (١٠٥- ١٠٦).

٢٠. محمد العبد (١٩٩٦): الحدث اللغوي (مفهومه وأنواعه)، بدون دار نشر أو رقم طبعة، ص (١٩ - ٢٣).

٢١. تون أ. فان دايك : النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص (٤٠). ومسعود صحراوي (٢٠٠٥): التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط (١)، ص (٤٠).

٢٢. عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، كرسي القرآن وعلومه في جامعة الملك سعود، الرياض، ١٦-٢٠١٣/٢/٢٠، ص (١٨).

٢٣. محمد العبد، الحدث اللغوي، ص (١٩- ٢٣).

٢٤. Ch. Perlman & L. Olbrechts Tyteca, The New Rhetoric, p (157).

٢٥. فان دايك، النص والسياق، ص(١٣٢).

٢٦. المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٢/١، (٦١٥- ٦١٦).

٢٧. السابق، ص (٦١٥-٦١٦).

٢٨. ميشيل لوجيرن (١٩٩١): الاستعارة والحِجاج، مجلة المناظرة، المغرب، السنة الثانية، ع ٤، ١٩٩١، ص (٨٧ - ٨٨). وقد ربط بيرلمان بين تلك الأشكال البلاغية وبين الغاية الحجاجية المتوخاة منها، وإلا ردت إلى الزخرف الشكلي: "نعتبر الصورة البلاغية ذات قيمة حجاجية إذا أحدثت تغييراً في الرؤية، وكذلك إذا بدا استعمالها طبيعياً في ذلك الموقف، أما إذا لم يحقق الكلام إذعان المرسَل

إليه لهذا الشكل الحجاجي، فإن الصورة تعد من قبيل الزخرف، أي صورة أسلوبية".

٢٩. أبو بكر العزاوي (١٩٩١): نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة ، المغرب، السنة الثانية،ع ٤، ص (٨١)، وطه عبد الرحمن (١٩٨٧): مراتب الحِجَاج وقياس التمثيل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، المغرب،ع ٩، ص (١٨).

٣٠. تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٩٩٤، ٣/٢٤٦- ٢٤٨.

٣١. ممن التفت من القدماء إلى قيمة الأمثال في دعم الحجاج ابن وهب، فقال: "وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمومة إلى نتائجها". ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ١٩٦٧، ص (١٦). ثم إنه يسوق مثالا على ذلك: "ألا ترى أن الله، عز وجل، لو قال لعباده إني لا أُشرك أحدا من خلائقي في ملكي، لكان ذلك محتاجا إلى أن يدل على العلة فيه، ووجه الحكمة في استعماله. فلما قال (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) كانت الحجة من تعارفهم مقرونة بما أراد أن يخبرهم به، من أنه لا شريك لا في ملكه من خلقه؛ لأنهم عالمون بأنهم لا يقرون أحدا من عبيدهم على أن يكون فيما ملكوه مثلهم، بل يأنفون من ذلك ويدفعونه، فالله عز وجل أولى بأن يتعالى عن ذلك" السابق، ص (١٤٦).